إشكالية التعددية النظرية في حقل العلاقات الدولية

The Problem of Theoretical Pluralism in The Field of International Relations

الأستاذة: زينب فريّح [1]

[1] جامعة علي لونيسي – البليدة 02 / الجزائر، fzainebf@gmail.com

تاريخ الإرسال : 2018/09/19 تاريخ القبول : 2019/06/25

تاريخ النشر : 2020/05/30

ملخص:

تعد النظرية قاعدة لحقل العلاقات الدولية مثل أي حقل معرفي آخر،من حيث كيفية تعريف نفسها و كيف تنظر إلى العالم محاولة شرحه و تفسيره،وعندما ظهرت نظريات متناقضة(العقلانية،التأملية و البنائية) كان التصادم بينها حتمي لا محالة ،و هذه الخلافات التي يمكن رصدها من خلال تتبع تاريخ حقل العلاقات الدولية(IR) ظهرت و عرفت بـ"النقاشات الكبرى"،مما جعل الحقل المعرفي للعلاقات الدولية يتخبط بين نظريات و مقتربات عدة كلها عاجزة عن تقديم فهم و تحليل شامل لما يحدث من تحولات و أحداث و هو ما طرح تساؤل أساسي:أي النظريات يتوجب على دارسي العلاقات الدولية أن يتبنوا ؟ تسعى هذه الدراسة التي محاولة الإجابة عن هذا التساؤل من خلال أربع أجزاء؛يتناول الجزء الأول منها التعدد النظري الموجود في حقل العلاقات الدولية.و يستعرض الجزء الثاني الأسباب المفسرة لهذا التعدد النظري.بينما يخصص الجزء الثالث لتبيان وجهات نظر الأكاديميين في حقل العلاقات الدولية إزاء هذه التعددية.و يسعى الجزء الرابع و الأخير لتقديم أهم الحلول التي قدمت لتجاوز إشكالية التعددية و التجزئة النظرية في حقل العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية:النقاشات الكبرى،الاشتباك النظري،التعددية النظرية،السلام النظري،حروب البرديمات.

المؤلف المرسل: فريح زينب / **fzainebf@gmail.com**

Abstract

The theory is the basis of the field of international relations, like any other field of knowledge, in terms of how to define itself and how to view the world in an attempt to explain and explain it. When contradictory theories emerged (rational, contemplative and constructive), the clash between them was unavoidable, Their monitoring by tracking the history of the IR field has emerged and has been known as the "Great Debates", which has made the field of knowledge of international relations floundering between several theories and approaches, all of which are incapable of providing a comprehensive understanding and analysis of what transformations and events occur. Theories Should International Relations Students Adopt? The solution, according to Tim Dunn, is the theoretical clash that he called "integrative pluralism" which will be the focus of this paper discussion.

Keywords: major debates, theoretical engagement, theoretical pluralism, theoretical peace, paradigmatic wars.

مقدمة :

لا زال الحقل المعرفي للعلاقات الدولية يواجه مشكلة أساسية تتمثل في عدم الوصول إلى نظرية عامة شاملة مفسرة للظواهر الدولية ،مما نتج عنه بروز توجهات نظرية متعددة تحاول تقديم تفسيرات مختلفة لظواهر مختلفة،مما جعلنا أمام العديد من النظريات التي جعلت الباحث في حيرة من أمره أي النظريات هي الملائمة للتفسير؟فكل حقل معرفي يبقى حي عندما تواكب نظريته العامة التحديات و تقوم بالإستجابة لتلك التحديات من خلال إجراء التعديلات المناسبة. **01** هذا لأن التقدم في المعرفة يتألف من طرح تساؤلات جديدة على أمل الحصول على إجابات أفضل.و الحقل المعرفي للعلاقات الدولية لا يمكنه أن يعرض الحقائق المطلقة حول بنية و مسار المجتمع الدولي.لكن يمكنه عرض تفسير عام متناسق و منطقي.

يشتمل حقل العلاقات الدولية اليوم ليس على تفسير واحد و لكن على ثلاث تفسيرات عامة:الواقعية، التعددية و البنيوية.و النقاش حول الخصائص المميزة لكل واحد من هذه التفسيرات يحتل مركز المرحلة الحالية لحقل العلاقات الدولية، و هو ما جعل العديد من الأدبيات تقع في حيرة من أمرها و ذلك بسبب أن هناك العديد من المحللين**Analysts** أكثر من المؤلفين **Synthesizer** فأغلب الدارسين لا يقودون أبحاث حول النظرية العامة على الإطلاق، لكن بدل ذلك يركزون على مشاكل صغيرة التي أنتجت"جزر من النظرية" **Island of Theory**. **02**

إن المقتربات الجديدة و القديمة متشابكة،وكنتيجة لذلك فإن المقتربات الحالية يا إما أنها تصف النقاشات القديمة و تنتقدها أو تمزج القضايا المعاصرة مع القديمة و هو ما يتفق إلى حد ما إلى مع ما ذهب إليه الباحث **جون لوزي John Losee**عندما صنف النظريات المفسرة للتقدم العلمي إلى:

- النظريات التي ترى بان التقدم العلمي يسير وفق منطق احتواء النظريات الجديدة القديمة و هي بذلك تسلم بمبدأ التراكمية الذي ذهب إليه ديكارت.
- النظريات التي ترى بان التقدم العلمي يحكمه منطق الثورة بحيث تأخذ النظريات الجديدة بعضا من مكونات النظريات القديمة لكنها تنتفض ضد مسلماتها الأساسية و ترسي أسسا جديدة للعلم.
- و أخيرا النظريات التي تعتقد بان نماء العلم يخضع لمنطق النماء العضوي"اللاخطي"،أي المتأرجح بين طرق عدة للتقدم. **03**

بناء عليه، ننظر الآن في انتشار النظريات Proliferation of Theories التي أخذت مكانها منذ نهاية الحرب الباردة و ظهور النقاش الرابع، حيث حصل انفجار غير مسبوق في أعداد النظريات المتصلة بالعلاقات الدولية. فالملاحظ أن هناك تعايش و منافسة بين عدد كبير من النظريات أكثر من أي وقت مضى، و هو ما يجعلنا نتساؤل كما تساؤل **تيم دان (Tim Dunne)** في مقاله "**نهاية نظرية العلاقات الدولية**"حول:**أي النظريات التي يجب أن يعتنقها أو يتبنها الدارسون في حقل العلاقات الدولية في ظل التعددية النظرية** ؟ للإجابة عن هذا التساؤل نتطرق إلى النقاط التالية:

أولا:العلاقات الدولية:عالم واحد، نظريات متعددة

سمحنا لأنفسنا باستعارة عنوان مقال الباحث **ستيفن والت**(Steven Walt) ،"عالم واحد ،نظريات متعددة" "International Relations :One World ,Many Theories " المنشور في مجلة Foreign policy سنة 1998، الذي يرى بأنه لا يمكن لأية مقاربة منفردة أن تستوعب التعقيد المميز للسياسة العالمية المعاصرة، ولذلك فنحن إزاء مجموعة كبيرة من الأفكار المتنافسة ولسنا إزاء تقليد نظري واحد. وهذا التنافس بين النظريات يساعد على معرفة مواطن القوة والضعف ويثير بذلك التحويرات اللازمة. **04**فلنأخذ على سبيل المثال الحرب الأهلية في سوريا و كيف فسرها **ستيفن والت** وفقا للتقاليد النظرية الثلاث السائدة و التي يعترف بها و ذلك في سبيل التأكيد على أننا أمام عالم واحد أو ظاهرة واحدة لكن نظريتنا للنفس الظاهرة تختلف:

- ينظر التقليد النظري الواقعي لما يجري في سوريا-بكل بساطة-على أنه صراع على القوة تتنافس فيه القوى العظمى على رسم خارطة التغير في المنطقة و لهذا يعترض الروس و الصينيين على أي قرار في الأمم المتحدة ضد سوريا لأنهم لا يريدون لأمريكا التدخل لمحاولة إسقاط النظام السوري الحاكم الحليف لروسيا ،و في الجهة المقابلة نرى البريطانيين و الأوروبيين و الأمريكيين يدعمون المعارضين ضد النظام ،و أنه صراع تلعب فيه الأمم المتحدة دورا محدودا.

- أما التقليد التعددي(الليبرالي) فيحاول بناء نوع من التوافق يركز على المعايير،القواعد القوانين و التعاون من أجل حل المشكلة،لذا هم يركزون على مجهودات كل القادة و الرؤساء الذين يحاولون إحلال

السلام في المنطقة و هم يرون أن دور الأمم المتحدة مركزي و أساسي و يشيرون مرارا إلى أن الأمم المتحدة و المنظمات الدولية لديها فرصة اكبر للتأثير على الأحداث أكثر مما كانت عليه قبلا .

- ثم إذا إلتفتنا إلى نظرية مختلفة كليا عن سابقتها فإننا نجد الماركسيون ينظرون إلى الأزمة السورية بـ"عدسات " مختلفة تماما عن النظريات الأخرى .ينظر الماركسيون إلى الأزمة السورية على أنها نزاع أساسه البترول و الموقع المركزي في الشرق الأوسط ،الطبقات الحاكمة،القوى الاقتصادية،و هم يعتبرونها على أساس :"صدام بين المصالح الاقتصادية" يعتبرون "نظام الأسد" و "المعارضة" كممثلين للأطراف ذات مصالح اقتصادية على الصعيد العالمي فهم إذن لا يهتمون بالجزئيات الصغيرة للازمة بل يماثلونها بالأزمات التاريخية الكبرى التي شهدت تصادمات بين القوى الإقتصادية المتنافسة.**05**

أصبحت الدراسة الأكاديمية للشؤون الدولية أكثر تنوعا منذ نهاية الحرب الباردة بحيث برزت الأصوات غير الأمريكية، كما حصل عدد كبير من المناهج والنظريات على الشرعية. بل وأكثر من ذلك، فقد أدرجت مواضيع جديدة في أجندة الباحثين على الصعيد العالمي**06**، فقد أفرزت نهاية الحرب الباردة تحولات مست ثلاث مستويات:(01) تحولات على مستوى بنية النظام الدولي؛(02) تحولات على مستوى الفواعل؛(03) تحولات على مستوى الموضوع.

و في تحديد عدد النظريات السائدة حاليا في حقل الدولية،فإن هناك تباين بين الدارسين،فإذا أخذنا وجهة نظر الأكاديمي الفرنسي Dario Battistella في كتابه "Théories des Relations Internationales" فإننا نجده يعترف بستة(06) تقاليد نظرية :

- البراديم الواقعي؛
- المنظور الليبرالي؛
- التصور العبر وطني؛
- التحليلات الماركسية؛
- المقتربات الراديكالية؛
- المشروع البنائي. **07**

في نفس السياق يرى كل من الكس ماكليود (Alex Macleod) و دان اوميارا (Dan O'Meara) أن هناك إحدى عشرة(11) نظرية في العلاقات الدولية:

- الواقعية؛
- الليبرالية؛
- التقليدية الجديدة؛

- الماركسية؛
- المدرسة الانجليزية؛
- البنائية؛
- النيوغرامشية؛
- النقدية؛
- ما بعد البنوية؛
- النسوية؛
- مابعد الاستعمارية. **08**

كما اقر الباحث سكوت برشيل (Scott Burchill) إلى جانب آخرون، بأن هناك عشرة(10) نظريات أساسية تتمثل في:

- الواقعية،
- الليبرالية،
- المدرسة الانجليزية،
- الماركسية،
- النقدية،
- ما بعد البنيوية،
- البنائية،
- النسوية،
- النظرية الخضراء،
- النظرية السياسية الدولية. **09**

بينما يرى كل من **تيم دان (Tim Dunne)**، **ستيفن (Steve Smith)** و **ميليا كوركي(Milja Kurki)** في كتابهم "**نظريات العلاقات الدولية: التخصص و التنوعية**" بان هناك عشرة (10) نظريات أساسية (أنظر إلى الملحق رقم 01) صنفنها على النحو الآتي:

- ❖ **التصورات العقلانية**:الواقعية(الواقعية الجديدة)/الليبرالية(الليبرالية الجديدة)؛
- ❖ **التصورات التأملية:**النقدية/ما بعد البنوية/ما بعد الاستعمارية/ النسوية /الخضراء؛
- ❖ **نظريات تقع في الخط الفاصل بين العقلانية و التأملية:**المعيارية/المدرسة الانجليزية/البنائية.

من خلال ما سبق،يتضح بأنه على الرغم من عدم الاتفاق بين الدارسين حول عدد النظريات السائدة في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، إلا أنهم يتفقون بان هناك تعددية نظرية سواء من خلال وضع نظريات جديدة أو الاتجاه نحو التجديد الذي لم يكن في حقيقة الأمر سوى نسخة مكررة للقديم. وبدلا من حل الصراع القائم بين مختلف المقاربات النظرية المتنافسة، فإن نهاية الحرب الباردة لم يعقبها سوى إطلاق سلسلة جديدة من النقاشات، ثم إن اعتناق أغلب التجمعات لنفس القيم المتعلقة بالديمقراطية، السوق الحرة وحقوق الإنسان لم يؤد إلى نوع من الوفاق، بل أن الباحثين الذين عكفوا على دراسة هذه التطورات هم الآن أكثر انقساما من ذي قبل. في هذا السياق يمكن إدراج ما صرح به **جلين سنايدر(G.Syder)** عندما قال:

" في تدريسنا و بحثنا ،نحن أشبه بالسياح حيث نركب عوامة،نتحرك كالمكوك ذهابا و إيابا بين جزر منفصلة من النظريات،العامل المشترك بينها هو أنها كلها تنتمي إلى محيط كبير من السلوك الدولي،بعض المفكرين يقيم بشكل دائم عل جزيرة أو آخر،و البعض الآخر يستمر في التحرك المكوكي،و عدد قليل يحاول بناء الجسور،و ذلك لان الجزر عل وشك انقسامات أكثر". 10

ثانيا:العوامل المفسرة للانتشار النظري في حقل العلاقات الدولية

هناك حقيقة لا يمكن إنكارها هو أن حقل العلاقات الدولية يعرف حاليا توجهات نظرية معترف بها أكثر من أي وقت آخر،و قد حدد **تيم دان** في مقاله حول**"نهاية نظرية العلاقات الدولية"** ثلاث عوامل/حوافز أساسية يمكن أن تفسر هذا الانتشار النظري غير المسبوق في حقل العلاقات الدولية تمثلت في :

- **إختراع نظريات جديدة في ضوء الادارك العام من جانب المجتمع الأكاديمي بأن السياق التاريخي الجديد يتطلب أدوات مفاهيمية جديدة للتحليل.**

على الرغم من أن النظريات الما بعد الوضعية الجديدة قد بدأت في الظهور قبل نهاية الحرب الباردة،يبدو من المرجح أن الحقل المعرفي اضطر إلى النظر بجدية في هذه النظريات الجديدة في سياق التغييرات الكبيرة، وغير المتوقعة، في النظام الدولي.و بشكل أكثر تحديدا،يقدم لنا فريدن(frieden) ولاك (lake) مثالا جيدا لكيفية أن التغييرات في التقنيات الفتاكة ولدت نظريات جديدة للاستقرار الاستراتيجي.

بين عامي 1952 و 1966 نظرية الردع النووي تطورت كرد فعل على التهديد بأن الأسلحة النووية تشكل تهديدا لبقاء الكوكب. **11**

❑ **الحافز الثاني الذي يفسر الانتشار النظري هو ظاهرة "استيراد" النظرية من الحقول المعرفية الأخرى.**

استيراد نظريات من التخصصات الأخرى إلى حقل IR كان سمة ملحوظة. و يبرز ذلك مع الحركة النسوية القادمة من النظرية السياسية. ما بعد البنيوية القادمة من النظرية الأدبية والفلسفة،البنائية من علم الاجتماع. ابرز مثال لـ " استيراد النظرية " كان في نظرية الأمننة لـ OLE Wæver المتأثرة بنظرية أوستن لفعل الكلام ،و بنائية **الكسندر واندت** تقدم مثال مؤثر آخر، فقد استلهم واندت نظريته من النظرية الاجتماعية لأنتوني جيدنز (Anthony Giddens).

❑ **يتعلق الحافز الثالث للانتشار النظري بالتطورات داخل الحقل المعرفي نفسه.**

ليس هناك شك في أن نشر والتز لكتابه "النظرية في السياسة " سنة 1979، أدى إلى ظهور مجموعة متنوعة من النظريات البديلة و المعارضة لرؤية والتز للسياسة الدولية. كل تطور نظري منذ عام 1979 كان عبارة عن سلسلة من ردود الفعل على عمل والتز. أدت بعض هذه التطورات إلى

نظريات بديلة هي جزء لا يتجزأ ضمن الافتراضات الأساسية لمقترب معين، ولكن تدعي التعبير عن اختلافات جوهرية بحيث لا بد من تسمية جديدة لتحديد الاختلافات داخل هذه النظرية. الواقعية الكلاسيكية الجديدة كونه مثال جيد هنا.**12**

أكد تيم دان أنه من المهم أن نلاحظ أن هذه الحوافز المفسرة للانتشار النظري ليست منفصلة عن بعضها البعض. الواقعة الجديدة لوالتز، على سبيل المثال كانت جزءا لا يتجزأ من داخل الافتراضات المستمدة من الاقتصاد الجزئي. وبالمثل، فإن العديد من الردود على وجهة نظر والتز كانت حريصة على رفض وجهة نظره و تقديم البديل.

ثالثا: التعددية النظرية في حقل العلاقات الدولية:بين مؤيد و معارض

إذا كان هناك إجماع اليوم بين الباحثين في حقل العلاقات الدولية على أن الحقل يشهد تعدد نظري أكثر من ذي قبل ،فان هناك خلاف حول جدوى هذا التعدد بالنسبة لحقل العلاقات الدولية ،إذ نجد أن هناك تياران،أولهما معارض لهذه التعددية و ثانيهما مؤيد لها :

ا ❑

لإتجاه الأول:هو تيار مؤيد للتعددية الموجودة في حقل العلاقات الدولية ،و من ابرز دعاته ستيف سميث(Steve Smith)،أول و ايفر (Ole Wæver).

يعتقد ستيف سميث، بان المجال قد أصبح الآن أكثر صحة نتيجة لتكاثر النظريات فيه.و لن يتسبب هذا الأمر بإعادة النظر فحسب بشكل جوهري في الأمور التي يتكون منها هذا المجال،و إنما قاد أيضا إلى التشكيك في الافتراضات الرئيسية للعلاقات الانطولوجية و الإبستمولوجية لهذا التخصص.**13** كما يرى أن اجتماع هذه التطورات معا يفتح المجال للمزيد من المناقشات،و يعطي في الوقت نفسه و بشكل حاسم الشرعية لأنواع أكثر من النظريات.فمن ناحية يتيح النطاق الواسع من النظريات للتفكير في جوانب من العلاقات الدولية أكثر من السابق،و بحيث أصبحت الإعتبارات الإجتماعية و الإنسانية للعلاقات الدولية تماما بأهمية الإعتبارات التقليدية السياسية أو الإقتصادية نفسها.و هو يرى أن هذا الوضع أفضل من معظم مواقف القرن الماضي،حينما سيطرت نظرية واحدة (الواقعية) على التخصص .لكن بالطبع سميث لا ينكر بان هذه التعددية في المقاربات تؤدي بالفعل إلى بروز مشكلات عدة ذات أهمية،أبرزها **كيفية الاختيار بين هذه النظريات**.

حسب **ستيفن سميث** ينبغي الاحتفاء بالتنوعية بدلا من ضبطها(كما يفضل بعض التقليديين على غرار كيوهين) .ربما يكون التنوع مزعجا لأنه يترك القارئ ليواجه بعضا من المشكلات الجوهرية المتعلقة بكيفية الاختيار من بين النظريات المتنافسة،لكنه على الأقل يتيح فرصة لمواجهة المعتقدات التقليدية الأصلية،كما يزود القارئ بخيارات متعددة من النظريات تسمح له بان يفهم عالمنا المتعدد الطبقات و المعقد ثقافيا.**14**

و قد وجهت بعض الانتقادات لوجهة هذا التوجه لاسيما وجهة نظر **ستيفن سميث** من خلال:

- التشكيك في الدرجة التي يتسم بها تخصص العلاقات الدولية فعليا بالتعددية النظرياتية، فبأي معنى يمكن اعتبار هذه النظريات المختلفة نظريات في تخصص العلاقات الدولية؟فالبعض منها يأتي من حقول معرفية أخرى –من الاقتصاد (كنظرية اللعبة و المؤسساتية و الليبرالية الجديدة)،و من الدراسات الثقافية(مثل ما بعد الاستعمارية)،و من الفلسفة (مثل ما بعد البنيوية)،و من الاقتصاد السياسي (مثل الماركسية)،و من مصادر متنوعة (مثل النسوية)؟

- التشكيك في ما إذا كانت التعددية في حد ذاتها أمرا ذا قيمة لأنه يعني أن التخصص يواجه أزمة هوية،فهنا تتم عادة مناقشة مسألة إن كان تخصص العلاقات الدولية تخصصا أم انه قد طغى عليه التجزؤ أو تعددية التخصصات أو التهجين.أي حول ما إذا كان تخصص العلاقات الدولية (لا يزال) تخصصا؟**15**

❑

الإتجاه الثاني:رافض للتعددية و للتوجهات الجديدة في حقل العلاقات الدولية ،و من أبرز دعاته كال هولستي(Kal Holsti) وكذلك روبرت كيوهين(Robert Keohene).

يرى هذا الإتجاه أن هذه التعددية النظرية مضرة بحقل العلاقات الدولية ،و في هذا السياق يتأسف كال هولستي لتكاثر النظريات في حقل العلاقات الدولية إذ يقول في هذا الصدد أن :

"من الصعب القول انه لا يزال هناك جوهر خاص بالمجال...يجب أن يكون مجالنا في الأساس مهتما بالعلاقات بين الدول،و بالعلاقات بين المجتمعات و الجهات الفاعلة من غير الدول،و بالمدى الذي تؤدي فيه هذه العلاقات إلى المساس بالعلاقات بين الدول و التأثير فيها.و عندما نذهب بعيدا متجاوزين هذه النطاقات،فإننا ندخل في مجالات علم الاجتماع،و العلوم الإنسانية، و علم النفس الاجتماعي،و أفضل من يتناولها هم الأشخاص المختصون بهذه التخصصات"

و يضيف:

"إني قلق بعض الشيء من أن يكون هناك عدد اكبر من اللازم من الأشخاص الذين يقضون وقتا طويلا في مناقشة قضايا عظمى ابستمولوجية و ميتافيزيقية...لكن بعد نقطة معينة...ربما يقودنا الاهتمام بالابستومولوجيا إلى أن نسهو عن موضوع البحث.لقد كتب أعظم النصوص في مجالنا أولئك الذين كانوا منغمسين في الموضوع،وليس علماء النظرية الابستومولوجيا".16

حسب وجهة نظر **روبرت كيوهان Robert Keohane** ،أن هذه النظريات لم تقدم برامج بحثية و نظريات جادة يمكن اختبار مدى قابليتها للاختبار كما صرح بذلك أثناء خطابه الرئاسي أمام جمعية الدراسات الدوليةISA سنة 1988 ،أن التصورات التأملية تتضمن نقطة ضعف أساسية و هي عدم وجود برنامج بحثي ،و في ذلك يقول:"

ما لم يقم الباحثون الأكاديميون التأمليون أو غيرهم من المؤيدين لأفكارهم ،برسم الخطوط الكبرى لهذا النوع من البرامج البحثية،و ما لم يقوموا بالتوضيح من خلال دراسات محددة بأنها"التأملية" تستطيع أن تسلط الضوء على قضايا مهمة في السياسة العالمية ،فإنهم سيبقون على هامش حقل الاختصاص غير مرئيين البتة لأغلبية الباحثين التجريبيين الذين يقبل اغلبهم صيغة أو أخرى من صيغ الافتراضات المنطقية العقلانية".17

رابعا: التعدد و التجزئة النظرية في حقل العلاقات الدولية:البحث عن حل؟

يظهر حقل العلاقات الدولية، بأن هناك خمس(05) تصورات أو حلول للتعامل مع مسألة التعددية و التجزئة النظرية السائدة حاليا في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية:

- **التصور الأول:الوحدة من خلال التعددية**

يفترض أن **التنوع النظري Theoretical diversity** هو جزءا لا يتجزأ من ممارسة العلم،فنمو المعرفة العلمية يتطلب سوق مفتوح للأفكار لأن العلم هو بيئة تنافسية.إلا أن العديد من العلماء يشعرون بالقلق بأن هذا التوجه المفتوح نحو التعددية قد يؤدي إلى **النسبية المنهكة Debilitating Relativism** وخسارة كل المقاييس الصارمة.

وجهة النظر البديلة تقدم الإنتشار النظري في سياق مختلف تماما. فوفقا لهذا الرأي، التنوع النظري مسموح به فقط لأنه يمثل ظاهرة مؤقتة. في نهاية المطاف، فإن العلوم الإجتماعية ستنضج و تتطور وفق منهجية علمية متسقة أين الخلافات النظرية يمكن أن تكون سويت. يمكن أن يكون الإنتشار النظري مسموحا به، ولكن فقط على أساس **الوحدة المنهجية Methodological Unity**. فما تحتاجه العلوم الإجتماعية هو الصارمة، التي تعرف بشكل واضح، بأنها مجموعة من الأساليب العلمية التي تشكل إطار يتم من خلاله تسوية أي خلافات نظرية. وحدة المنهج ، من المأمول، أنها سوف تؤدي في النهاية إلى **التقارب النظري Theoretical Convergence**. كما أكدا غاري كينغ(Gary King)، روبرت كيوهان(Robert Keohane) و سيدني (Sidney Verba) نقلا عن كارل بيرسون Karl Pearson كلامه :**"وحدة كل العلوم تتكون فقط في وحدة منهجها "**.التراكم المستمر من المعرفة يتولد من خلال تطبيق الأساليب العلمية التي ستضع في نهاية المطاف العلوم الاجتماعية على مسار آمن.هذا الموقف ما زال ملتزم بالتعددية، ولكن التعددية هي الآن وسيلة لا غاية. التسامح مع التنوع النظري لأنه موجود ضمن أفق تحقيق الوحدة المنهجية.**18**

- **التصور الثاني:السماح لألف زهرة نظرية بالتفتح**

على النقيض من موقف "الوحدة من خلال التعددية" فإن وجهة النظر البديلة، ترى احتمال ضئيل أو لا يوجد لأي نوع من الوحدة النظرية. فوفقا لأنصار هذا الرأي، يجب علينا تبني إستراتيجية السماح "بتفتح ألف زهرة نظرية أو السماح لألف زهرة نظرية بالتفتح". نظرا للاحتمالات المحدودة لتسوية الخلافات النظرية على المستوى الإبستمولوجي، يجب على العلوم الإجتماعية أن تتبنى التزاما مفتوحا بتقبل جميع المناهج النظرية.و في هذا يرى فايرباند Feyerabend ،فبما أن التنوع النظري يعد في حد ذاته عنصر ضروري في نمو المعرفة، فإن علينا أن نتقبل تعدد وجهات النظر المختلفة. التعددية هنا هي نهاية، وليس وسيلة. التعددية فقط يمكنها التعامل مع واقع متعدد الجوانب ومعقد والتعددية هي الوحيدة التي يمكن أن تحقق

تقدما كبيرا من حيث المعرفة. نظرا لعدم وجود معايير معرفية متفق عليها لتقييم الإدعاءات الإبستمولوجية المتنافسة ، علينا أن نتقبل كل وجهات النظر.

لكن ،لا يبدو أن كلا وجهتا النظر السابقتان مغريتان لأي علم لإعتمادهما. وبالنظر إلى تاريخ التقدم العلمي فإنه يبدو من غير المناسب لأي العلوم اعتماد الوحدة النظرية كهدف. إبستمولوجيا، كيف لنا أن نعرف متى إن كنا قد وصلنا إلى نقطة حيث لم تعد هناك حاجة للرؤى نظرية متعددة؟ الرؤى المتنافسة للعلم يعني أنه لا توجد معايير متفق عليها للتوصل إلى وحدة المنهج. الموقف البديل "السماح لألف زهرة نظرية بالتفتح" لديه مشاكله الخاصة. هذا النهج قد يؤدي إلى النسبية المسببة للعجز، أو ما يسميه يوسف ليبيد **Yocef Lapid** بـ "التعددية المترهلة **Flabby Pluralism**" .**19**

❑ **التصور الثالث:التعددية التكاملية كحل لمأزق التعددية النظرية**

حسب تيم دان يجب أن نحاول التحرك نحو موقف أطلق عليه مصطلح "التعددية التكاملية(**Integrative Pluralism**)، هذه الأخيرة ليست محاولة تدعي المعرفة في موقف واحد جامع يستوعب كل المواقف النظرية. أنها ليست شكلا من أشكال التوليف النظري(**theoretical synthesis**) ،كما أنها ليست وسطية تدعي الإنتقائية من خلال إختيار أفضل ما في النظريات المختلفة لضمها في نظرية كبرى . تقبل التعددية التكاملية وتحافظ على صحة مجموعة واسعة من النظرية وو جهات النظر وتحتضن التنوع النظري كوسيلة للتزويد بفهم أكثر شمولية ومتعدد الأبعاد للظواهر المعقدة. هذا ليس اقتراحا بأن الجمع بين مختلف الادعاءات النظرية سينتج تفسيرا شاملا. لأننا ببساطة لا يمكن أن نعرف متى كان أي تفسير كامل. كما انه لا يمكننا ببساطة أن ندمج النظريات التي نستخدمها معا كي تتجمع لدينا وجهات نظر شاملة لعالم العلاقات الدولية.لان النظريات ترى عوالم مختلفة.لذلك فالكاتب الماركسي سيرى شكلا من أشكال القوة (و الذي سيكون اقتصاديا في النهاية)مختلفا عن ذلك الذي سيراه الواقعي الكلاسيكي(و هو شكل سياسي للقوة)،على الرغم من تركيز كلهما على القوة.و بالمثل ،فان الليبرالي الكلاسيكي لن يرى التعاون في المسائل البيئية بطريقة مشابهة لتلك التي ينظر بها عالم النظرية الخضراء إلى هذا التعاون.ليس من الممكن أن تقوم ببساطة بتجميع هذه التصورات المتباينة للعلاقات الدولية لتحصل على نظرية واحدة شاملة.فالنظريات جزء من العالم الاجتماعي،و لا يمكنها البتة أن تكون منفصلة عنه،و لذا فهي بشكل العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه.و تقوم كل واحدة من هذه النظريات بتحديد المشكلات التي يجب أن يتم تدارسها بطرائق مختلفة.**20**

❑ **التصور الرابع:القبول بالتعددية النظرية و اختيار النظريات المناسبة يكون وفقا للموضوع المراد بحثه و دراسته.**

يرى **ستيفن سميث**،أن الحل يكمن في أن نتقبل التعددية و يجب أن نحتفي بها لأنها شيء جيد لحقل العلاقات الدولية،على الرغم من أن هذا يثير التساؤل حول الأسس التي نقو م بموجبها بالاختيار من بين النظريات. تقليديا ،لم تكن هناك مشكلة بالنسبة إلى التخصص،حيث أن الجواب كان دائما خيارا ما بين الواقعية و الليبرالية ،مع كون الواقعية هي المسيطرة.و قد كان الحال كذلك إلى حد كبير،لان إذا كان يتم تعريف الموضوع بوجود الحرب،فالواقعية هي التي كانت تبدو النظرية الأفضل في تفسير الحرب.و إذا كان تركيز الفرد على التعاون الدولي،فالليبرالية هي التي كانت مناسبة ،و الحوار بين هذين المسارين النظريين هو الذي قام بتشكيل الحوار المؤسس ضمن تخصص العلاقات الدولية.و اليوم ليس هناك مجموعة من النظريات البديلة المقنعة و المطورة بشكل جيد فحسب،بل ان هذه النظريات تقوم أيضا بمجادلة صحة الافتراضات الأساسية لمحتوى المجال.

من وجهة نظر ستيفن سميث دائما ،ينبغي أن يكون المعيار الأول المتعلق بقرار الاختيار من بين النظريات هو القضايا التي تريد تفسيرها.و بناء عليه،إذا كنت مهتما بمستقبل البيئة ،فالنظرية الخضراء ،في الأغلب ،ستكون منطلقا جيدا لتبدأ منه،.و هذا لا يعني أن النظرية الخضراء هي وحدها القادرة على تقديم تفسيرات،لكنها تقوم بالفعل بإعطاء القارئ مكانا ليبدأ منه في التفكير في السؤال حول النظرية الأنسب.**21**

❑ لتصور الخامس:الإنتقائية التحليلية كبديل عن التكامل و التوليف النظري في العلاقات الدولية

يبدو أن منطق "النظرية الكبرى" في حقل العلاقات الدولية يتجه نحو حافة إفلاس نظري وفلسفي حاد، وهو بذلك في حاجة إلى مزيد من التفكيك وإعادة النظر.لقد دفع هذا المنطق بالحقل إلى أن أصبح يعج بالولاءات النظرية والمنهجية الضيقة بحسب تعبير عبد النور بن عنتر.ويؤثر هذا في حجم التنوع في الحقل، وفي نوعية الابتكارات النظرية. فالولاء يصبح في نهاية المطاف كابحا للابتكار داخل النظرية الواحدة باجتراره وتبريره و شرعنته،وبتكريس رفض الآخر وإقصائه، أي إقصاء كل من لا يلتزم الخيارات النظرية والمنهجية التي تستند إليها النظرية السائدة.**22**

في هذا السياق، تأتي النزعة "الإنتقائية التحليلية""Analytical Eclecticism " التي جاء بها **كاتزنستاين وسيل(Rudra Sil & Peter J. Katzenstein,)** في مقالهما الموسوم بـ**"الانتقائية التحليلية في دراسة السياسة العالمية: نحو إعادة صياغة المشكلات والآليات عبر مختلف التقاليد البحثية"**،**23** والتي تَعد بتجاوز هذا الكبح المزدوج للابتكارات الفكرية في الحقل، كما تَعد بخلق نقاشات تكاملية وغير إقصائية من دون أن يكون المقصود هو النقاش في حد ذاته، وإنما توظيف ما هو أهم من بين مساهمات كل نظرية/ مقاربة. ومن ثم فإن الانتقائية التحليلية ترد الاعتبار إلى العلاقات الدولية بوصفها حقلاً معرفيًا قادرا على تفسير/ فهم الظواهر التي يدرسها؛ لأنها توظف جميع المساهمات توظيفًا دقيقا

للخروج بمقترحات تفسيرية تتكامل فيها مختلف النظريات / المقاربات. كما تُعد الانتقائية سبيلاً للخروج من منطق الثنائيات السائد القائم على ممارسات الإقصاء والتهميش المتبادلَين.

تأخذ الإنتقائية التحليلية في الحسبان أن كل نظريات العلاقات الدولية ، تتضمن "نقاط عمياء"Blind Spots" الخاصة بها ،من حيث أنها تميز مجموعة معينة من المشكلات وتعطي الأولوية لبعض المتغيرات ، في حين تتجاهل متغيرات أخرى ذات صلة محتملة. نتيجة لذلك ، لا يمكن لأي نظرية واحدة التعامل مع التعقيد المميز للبيئة الدولية. **24**

خاتمة:

كنتيجة توصلنا إليها في النهاية،انه بالرغم من تمكن المناقشات الكبرى في حقل العلاقات الدولية من الدفع على التجديد،أما من خلال انتصار أفكار جديدة أو عن طريق تعزيز وجهات النظر الراسخة في العلاقات الدولية إلا انه كانت هناك العديد من الاختلافات التي نتج عنها تجزئة هذا الحقل الأكاديمي الذي أصبح أمام إشكالية التعددية آم التجزئة النظرية.إلا أن هذا لا يبشر بالضرورة بالسوء، فالتنوع و التباين ضروري للتطور. و قد قدمت عدة حلول للتعامل مع هذا الإشكال النظري أهمها و المفضل لدينا "التحليل الانتقائي" الذي يخلص إلى أن التحليل الكافي للظواهر شديدة التعقيد ، كظواهر العلاقات الدولية ، يتطلب آليات ومفاهيم تفسيرية من تقاليد نظرية مختلفة يتم دمجهم بوعي بطريقة براغماتية لحل المشكلات.

في نهاية المطاف،يمكن القول بأن العديد من الدارسين يرون بان علم العلاقات الدولية يمر الآن بمرحلة مراجعة نقدية للأسس المعرفية الامبريقية/الوضعية التي استند إليها و إعادة النظر في مصطلحات أساسية مثل "الحقيقة"Truth و "العقلانية"Rationality و "الموضوعية" Objectivityو "الإجماع" Consensusأي انه يمر بمرحلة إعادة النظر فيما وراء "الخلفية الفلسفية "و هناك دعوة إلى إعادة بناء العلم من جديد أي أن النظرية في حقل العلاقات الدولية "هي مسار لإعادة التشكل و لإعادة البناء".

الملحق رقم (01):

شكل يوضح أهم التصورات النظرية السائدة في حقل العلاقات الدولية حسب وجهة نظرتيم دان،ميليا كوركي،ستيف سميث

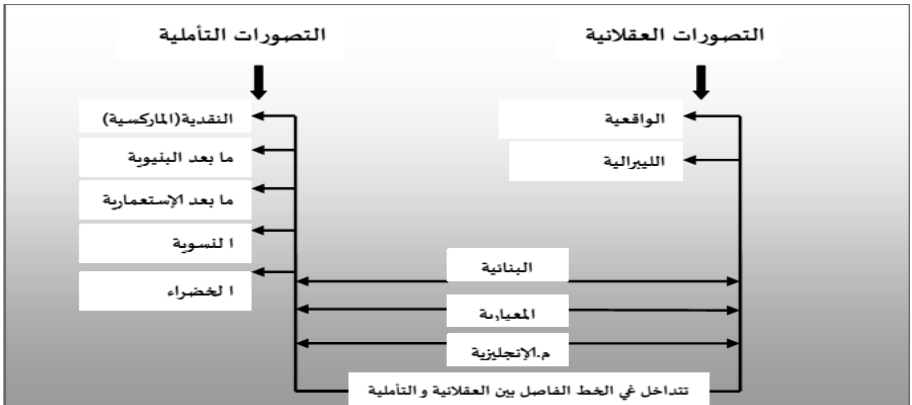

المصدر:من إعداد الباحثة وفقا لكتاب : تيم دان،ميليا كوركي،ستيف سميث،(2016)،**نظريات العلاقات الدولية:التخصص و التنوع**،تر:ديما الخضر(قطر:المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسات ،ص ص.45-650.

الهوامش:

01 Michael Banks, 1985,The Inter-Paradigme Debate", In: Margot Light&A.J.Groom, International Relations: A Hand Books of Current Theory, London: Pinter Publishers,p.3.

02 Idem.

03 عادل زقاغ،2009،"النقاش النظري الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية"،أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية،قسم العلوم السياسية،جامعة باتنة،الجزائر،ص.17.

04 ستيفن والت،العلاقات الدولية :عالم واحد ،نظريات متعددة"،تر:عادل زقاغ ،زيدان زياني،تم الاطلاع بتاريخ: 2018/02/12 ،متاح على الموقع: http://www.geocities.com/adelzeggagh/IR.html

05 ستيفن سميث،"سوريا و نظريات العلاقات الدولية"،تر:حمزة بن عبد الرحمان،،تم الاطلاع بتاريخ: 2018/02/12 ،متحصل عليه من :https://www.youtube.com/watch?v=g2NEwT451V8&feature=share.

06 ستيفن والت،مرجع سابق.

07 Dario Battistella, 2003,**Theories des Relations Internationales** , Presses de la Fondation Nationale des Sciences politiques, Paris, pp.15-245.

08 Alex Macleod, Dan O'Meara , 2012,**Theories des Relations Internationales :Contestations et Resistances ,2emeed**,Québec :Athena Editions&CEPES ,pp.63-377.

09 سكوت برتشيل و آخرون،2014، **نظرية العلاقات الدولية**،تر:محمد صفار ،سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين 2202، القاهرة: المركز القومي للترجمة،،ص ص.51-464.

10 أنور محمد فرج،2007،**نظرية الواقعية في العلاقات الدولية**،العراق:مركز كردستان للدراسات الإستراتجية،ص124.

11Tim Dunne, Lene Hansen, Colin Wight, (2013)," The End of IR Theory?",European Journal of International Relations,Vol 19,N° 03, p.12.

12 Idem, p.13.

13 تيم دان،ميليا كوركي،ستيف سميث،مرجع سابق،ص.57.

14 نفس المرجع،ص.67.

15 نفس المرجع،ص.61.

16 نفس المرجع،ص ص.56-57.

17 نفس المرجع،ص ص.56-57.

18 Tim Dunne, Lene Hansen, Colin Wight,Op.Cit,p.17.

Idem, p.18.19

Idem, p.19.20

21 تيم دان،ميليا كوركي،ستيف سميث،مرجع سابق،ص.63.

22 محمد حمشي، الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية،مجلة سياسات عربية،العدد 28،سبتمتبر 2017،ص 41..

23 نفس المرجع،ص.42.

24 Jonas Schneider, The Change Toward Cooperation in the George W. Bush Administration's Nuclear nonproliferation policy toward north korea, Frankfurt:peter lang,2010,pp.25-26.